مراجعة اخرى لكتاب عيسى الشعيبي
« الكيانية الفلسطينية ـ الوعي الذاتي والتطور المؤسساتي ١٩٤٧ ـ ١٩٧٧ »

مراجعة مؤنس الرزاز

لا شك في أن كتاب عيسى الشعيبي قد نجح في التطرق الى مسألة بالغة الحساسية والتعقيد ، طارحاً بين السطور (التأريخية) كثيراً من التساؤلات دون أن ينجح نجاحاً مماثلاً في الرد عليها .. ولعل هذه الغاية لم تكن ضمن مخططه اصلاً .

ولقد سبق لسمير أيوب أن قدم موجزاً عن هذا الكتاب في «**شؤون فلسطينية**»* فأجاد في العرض ووفره عليّ، واضطرني الى الولوج في مناقشة المحتوى دون مقدمات

يطرح الكتاب بين سطوره وخلفها مجموعة من الاسئلة . ولا شك في ان افكارا وخواطر كثيرة تراود ذهن القارىء وهو يطالعه . ولعل اهم التساؤلات التي تطرح نفسها على القارىء تتلخص في الاسئلة التالية :

١ ـ ما هي العلاقة بين هزيمة الحركة القومية العربية ، برموزها المعروفة في حرب حزيران ، وبين الوعي الكياني لدى الشعب الفلسطيني ؟

٢ ـ ما هو الفارق بين الوعي الذاتي للشخصية الفلسطينية كوجود وهوية وبين الحركة التي تمثل هذه الشخصية ؟

٣ ـ حين طرح رموز الحركة القومية ـ ولا أقول حركة التحرر العربي ـ مثل عبد الناصر ، ورموز من خارجها ، مثل عبد الكريم قاسم ، مشاريع من مثل فوج التحرير الفلسطيني والاتحاد القومي ؛ هل كانت هذه المشاريع جادة وبعيدة عن الرغبة في الوصاية والاحتواء والهيمنة ؟ أم جاءت هياكل تخرج من المتاحف للعرض في الاعياد والمناسبات ؛ أم انها كانت فاعلة حقاً كما يرى سمير ايوب بقوله ـ ناقداً الشعيبي ـ أن محاولة الكاتب تفسير « البطء الشديد في نمو حركة « فتح » وفي عزلتها التامة عن الشعب الفلسطيني ، بكونها كانت تسبح ضد التيار عندما بشرت (!) بافكارها حول الكيان الفلسطيني . نحن نرى أن هذا التفسير مجاف للحقيقة فـ « فتح » في تلك الفترة (أواخر الخمسينات واوائل الستينات) بطرحها الكياني كانت تسبح في صلب التيار الرسمي العربي والجماهيري ، فالظروف كانت مواتية ؛ لأن اروقة الجامعة العربية كانت تعج بالفكرة الكيانية التي اطلقها عبد الناصر ضمن التوجه القومي له ، والتي دعا لمثلها عبد الكريم قاسم في العراق وحزب البعث العربي في سوريا وحركة القوميين العرب في تزامن ملفت للانتباه »

وسنكتفي هنا بسؤال سمير أيوب عما كان عليه مصير المؤسسات الكيانية التي دعا اليها هؤلاء ، وبالتالي : هل كانت هذه المؤسسات بعيدة عن الورق والحبر ، اي في الواقع ، حية وجدية ومستقلة ؟ الجواب الذي يدلي به الشعيبي في كتابه حاسم ، وهو النفي القاطع . واذا كانت الظروف مواتية ، كما يقول ايوب ، واذا كانت الفكرة الكيانية ناضجة فعلاً ، فلماذا يلجأ الفلسطيني الى عبد الناصر ويعرض عن

* انظر : « **شؤون فلسطينية** » ، العدد ١٠٢ ، أيار (مايو) ١٩٨٠ ، ص ١٢٨ .